بسم الله الرحمن الرحيم

«الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» 27 جُمَادِ الْأَوَّلِ 1446هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْحَيَاءَ خُلُقٌ جَمِيلٌ، يَبْعَثُ عَلَىٰ تَرْكِ الْقَبِيحِ ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ، وَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَحْيَىٰ كَانَ الْحَيَاءُ فِيهِ أَتَمَّ وَأَقْوَىٰ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ الْحَيَاءِ ثَابِتًا مُنْذُ زَمَانِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: قَوْلُهُ: «مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ» أَيْ: مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَيْ: إِنَّهُ مِمَّا نَدَبَ إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَلَمْ يُنْسَخْ فِيمَا نُسِخَ مِنْ شَرَائِعِهِمْ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ الْعُقُولُ. اهـ

عِبَادَ اللهِ: بِالْحَيَاءِ اتَّصَفَ خِيَارُ الْخَلْقِ، فَالْمَلَائِكَةُ مَوْصُوفُونَ بِهِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».

وَالْأَنْبِيَاءُ عُرِفُوا فِي أَقْوَامِهِمْ بِالْحَيَاءِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَىٰ رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ **فَيَسْتَحِي**، ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ **فَيَسْتَحِي**، فَيَقُولُ: ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُوسَىٰ، عَبْدًا كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ، **فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ** ...» الْحَدِيثَ.

وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ لَهُ مِنْ ذَلِكَ النَّصِيبُ الْأَوْفَرُ، فَحَيَاؤُهُ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ ﷺ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا

عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ.

عِبَادَ اللهِ: الْمَرْأَةُ جُبِلَتْ عَلَىٰ الْحَيَاءِ، وَبِهِ زِينَتُهَا وَجَمَالُهَا، وَهُوَ لَهَا حِصْنٌ وَأَمَانٌ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ البِكْرَ تَسْتَحِي؟ قَالَ: «رِضَاهَا صَمْتُهَا».

وَابْنَةُ صَاحِبِ مَدْيَنَ جَاءَتْ تَمْشِي وَقَدْ غَمَرَهَا جِلْبَابُ الْحَيَاءِ. لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ حَيَاءَهَا فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: ﴿تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ﴾ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ كَرَمِ عُنْصُرِهَا، وَخُلُقِهَا الْحَسَنِ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَخُصُوصًا فِي النِّسَاءِ.

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ، قَائِلَةً بِثَوْبِهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا، لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ خَرَّاجَةٍ وَلَّاجَةٍ. وَالسَّلْفَعُ: السَّلِيطَةُ الْجَرِيئَةُ.

وَعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَلَغَ بِهَا الْحَيَاءُ أَنْ تَحْتَشِمَ فِي حُجْرَتِهَا؛ حَيَاءً مِنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ دَفْنِهِ مَعَ زَوْجِهَا النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَ أَبِيهَا الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِشْكَاةِ»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي، وَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ.

وَامْرَأَةٌ صَبَرَتْ عَلَىٰ الْبَلَاءِ، وَلَمْ تَرْضَ بِنَزْعِ الْحَيَاءِ، فَكَانَ لَهَا الْجَنَّةُ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» قَالَتْ: أَصْبِرُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْحَيَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي بَقِيَ عَلَيْهَا أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا سَأَلَهُ هِرَقْلُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ الْكُفْرِ، كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: وَاللهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَنْ يَأْثُرَ

أَصْحَابِي عَنِّي الْكَذِبَ لَكَذَبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الْكَذِبَ عَنِّي، فَصَدَقْتُهُ.

عِبَادَ اللهِ: بِالْحَيَاءِ نَيْلُ السَّعَادَةِ، وَإِدْرَاكُ أَسْبَابِهَا، وَهُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَعَاقِبَةُ صَاحِبِهِ إِلَىٰ خَيْرٍ، وَلَا يَلْحَقُهُ نَدَمٌ فِيهِ الْبَتَّةَ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ»: وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا [أَيِ: الْمَعَاصِي]: ذَهَابُ الْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَذَهَابُهُ ذَهَابُ الْخَيْرِ أَجْمَعِهِ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَا عَاقَبَ اللهُ قَلْبًا بِأَشَدَّ مِنْ أَنْ يَسْلُبَ مِنْهُ الْحَيَاءَ. أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ.

عِبَادَ اللهِ: الْحَيَاءُ مِنْ أَكْبَرِ مَا يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرُكُوبِ الْمَعَاصِي، فَإِذَا سُلِبَ مِنَ الْعَبْدِ الْحَيَاءُ لَمْ يَبْقَ لَهُ مَا يَمْنَعُهُ مِنِ ارْتِكَابِ الْقَبِيحِ وَالْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «التَّمْهِيدِ»: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيَاءٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِعْلُ الصَّغَائِرِ وَارْتِكَابُ الْكَبَائِرِ، وَفِيهِ مَعْنَىٰ التَّحْذِيرِ وَالْوَعِيدِ عَلَىٰ قِلَّةِ الْحَيَاءِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي الْحَيَاءِ زِينَةٌ وَجَمَالٌ لِصَاحِبِهِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ».

عِبَادَ اللهِ: الْحَيَاءُ حَادٍ عَلَىٰ حُسْنِ الْأَدَبِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ شِبْهِ، أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ، لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا». فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْحَيَاءُ مِنَ اللهِ نُورٌ يَقَعُ فِي الْقَلْبِ، يُرِيهِ ذَلِكَ النُّورُ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ ﷻ، فَيَسْتَحِي مِنْهُ

فِي خَلَوَاتِهِ وَجَلَوَاتِهِ. وَيَتَحَقَّقُ الْحَيَاءُ مِنَ اللهِ بِمُطَالَعَةِ مِنَنِهِ وَعَظِيمِ نِعَمِهِ، مَعَ اسْتِحْضَارِ عَيْبِ النَّفْسِ وَتَقْصِيرِهَا، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ السِّرِّ وَأَخْفَىٰ، وَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ بِنَظَرِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ بِمَرْأًىٰ مِنْهُ وَمَسْمَعٍ، وَكَانَ حَيِيًّا، اسْتَحَىٰ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِمَسَاخِطِهِ.

عِبَادَ اللهِ: مَعَ الْإِنْسَانِ مَلَائِكَةٌ لَا تُفَارِقُهُ، وَمِنْ إِكْرَامِهِمُ الْحَيَاءُ مِنْهُمْ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ»: أَيِ اسْتَحْيُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْحَافِظِينَ الْكِرَامِ وَأَكْرِمُوهُمْ، وَأَجِلُّوهُمْ أَنْ يَرَوْا مِنْكُمْ مَا تَسْتَحْيُونَ أَنْ يَرَاكُمْ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُكُمْ، وَالْمَلَائِكَةُ تَتَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْحَيَاءُ مِنَ النَّاسِ بَاعِثٌ عَلَىٰ الْفَضَائِلِ، وَلَوْ أَنَّ الْمُسْلِمَ لَمْ يُصِبْ مِنَ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ إِلَّا أَنَّ حَيَاءَهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ الْمَعَاصِيَ لَكَفَاهُ. وَالْحَيَاءُ خَيْرُ عَوْنٍ لِصَاحِبِهِ عَلَىٰ الْحَيَاءِ مِنَ اللهِ، وَمَنْ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ، وَمَنْ جَالَسَ أَهْلَ الْحَيَاءِ تَجَدَّدَ حَيَاؤُهُ، وَأَوْلَىٰ مَنْ يُكْرِمُ الْمَرْءُ نَفْسُهُ. وَمَنْ عَمِلَ فِي السِّرِّ عَمَلًا يَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ فَلَا قَدْرَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ، وَمَنِ اسْتَحْيَىٰ مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنْ نَفْسِهِ، فَنَفْسُهُ أَهْوَنُ عِنْدَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَمَنِ اسْتَحَىٰ مِنْهُمَا وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ اللهِ فَمَا عَرَفَ رَبَّهُ، وَمَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ.

عِبَادَ اللهِ: الْحَيَاءُ الْمَمْدُوحُ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ الْخُلُقُ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَىٰ فِعْلِ الْجَمِيلِ، وَتَرْكِ الْقَبِيحِ. أَمَّا الضَّعْفُ وَالْعَجْزُ الَّذِي يُوجِبُ التَّقْصِيرَ فِي شَيْءٍ مِنْ حُقُوقِ اللهِ أَوْ حُقُوقِ عِبَادِهِ، فَلَيْسَ مِنَ الْحَيَاءِ فِي شَيْءٍ، وَإِذَا مَنَعَ صَاحِبَهُ مِنْ خَيْرٍ لَمْ يَكُنْ مَمْدُوحًا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ.

وَلَا حَيَاءَ فِي تَرْكِ الْعِلْمِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَتْرُكُ الْعِلْمَ حَيَاءً بَقِيَ أَبَدَ الدَّهْرِ فِي جَهْلِهِ مَحْرُومًا. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ مُعَلَّقًا مَجْزُومًا بِهِ: لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٍ.